وصلات لارتشاف اللذة

شوكولا إكبيل نموذجا

جعفر عاقيل*

مهداة إلى الصديق عبد العلي اليزمي

يمثل الإشهار عموما والإشهار التلفزي(1) على وجه الخصوص تقنية في التواصل توظفها المؤسسات للتعريف بمنتوج جديد في السوق التجارية. ويعتمد الإشهار التلفزي على إرساليات قصيرة ومركزة تتكون من صور وكلمات وأصوات و موسيقى لكنها تتميز كذلك بقدرة كبيرة على التأثير في المشاهد وجذب اهتمامه واستدراجه، وذلك إما عن طريق مخاطبة عقله أو أحاسيسه.

ونظرا للمكانة التي يحتلها الإشهار التلفزي داخل مشهد وسائط التواصل الجماهيري بالمغرب وتحديدا تأثيراته المباشرة في الحياة اليومية للمشاهد المغربي كالتأثير في ذوقه وترتيب فضائه الداخلي (البيت) والخارجي (المجال الحضري أو القروي) وعلاقاته الاجتماعية ورؤيته للأشياء وتمثلاته لمحيطه، سنحاول، من خلال هذه القراءة، التركيز على بعض الإواليات والمكونات، وتحديدا المكونين اللفظي والأيقوني، التي تستعملها الوصلة الإشهارية في استراتيجيتها التواصلية مع المشاهد المغربي. ذلك أن الوصلة الإشهارية لا تقف عند حدود توجيه اهتمامات المشاهد إلى الاقتناع بالمنتوج و أهمية اقتنائه ثم استهلاكه وإنما تتعداها الى تغيير عاداته الاستهلاكية كلية بسلوكات وقيم جديدة. وقد اخترنا كمتن لهذه القراءة وصلة إشهارية يتمحور موضوعها الرئيس حول أحد منتوجات شركة إكبيل Aiguebelle.

1- تقديم المتن

يمثل المتن الذي سندرسه وصلة إشهارية بثتها القناة الثانية خلال أواخر شهر دجنبر من سنة2004. تتألف الوصلة من خمس وعشرين لقطة كما استغرق عرضها سبعا و عشرين ثانية. تصور جل لقطاتها وجها فاتنا لامرأة في مقتبل العمر تتلذذ و تستمتع بشوكولا يحمل اسم ماركة إكبيل ذات الذوق العالي والتجربة الطويلة في ميدان صناعة الشوكولا. وباستثناء اللقطات التي تصور وجه المرأة و

بعض التبئيرات الخاصة بالفم و العينين، يجهل المشاهد أية معلومة عن مكان و زمن الأحداث و الحالات التي تنقلها إليه لقطات الوصلة.

مكونات إرسالية الوصلة الإشهارية

لعل أول ما يشد انتباه المشاهد إلى وصلة إكبيل، هيمنة اللقطات الكبيرة على مستوى التأطير ولإيقاع السريع فيما يخص المونطاج وكذا الاقتصاد في الكلام.

إن أهم ملاحظة تبرزها هذه الخاصية التقنية هي استعمال الإشهاري لأسلوب البورتريه وجماليته أثناء تقديم لقطات الوصلة. وتؤسس الوصلة لذلك من خلال اللقطات العديدة التي تركز على بعض أعضاء الوجه أو ملامح الوجه كلية وتقاسيمه وتعابيره إضافة إلى زوايا النظر الموظفة وكذا الأشكال التي تحتويها، وهي إواليات تسهم جميعها في الاحتفاء بالمرأة وإبراز أنوثتها. يدفعنا هذا الوضع إلى التفكير في الوجه باعتباره موضوعا محوريا في بناء الأكوان الثقافية للإرسالية الإشهارية. وذلك انطلاقا من أن الوجه هو المرآة أو الواجهة الأولى التي تنقل لنا هوية الفرد، ولأنه باكتشاف سر خطوطه ونقاطه ومساحاته وألوانه ثم أشكاله، الخ؛ نكتشف أغوار الشخصية الممثلة أمامنا ودوافنها وأننا بإدراك العلاقات الداخلية التي تجمع بين أعضائه : العينين والفم والأنف والخدين ،الخ. نقترب شيئا فشيئا من الإمساك بتفاصيله وتحولاته ومن ثم نرفع اللثام عن ما يخفيه من علامات ورموز.

إن تركيز الإشهاري على الوجه بوصفه مكونا بصريا في بناء محتوى الوصلة ليس عملا اعتباطيا و إنما يعتبر أداة حجاجية بامتياز. ذلك أن الوجه يعد عنصرا مركزيا في الدلالة الجسدية. فهو المساحة الأكثر إثارة في الجسد والحلقة المحورية في تبادل المعاني بين الأفراد والجماعات، إنه الصورة الأولى التي تحدثنا عن أحاسيس الفرد وميولاته وانتمائه وذاكرته وبعبارة أشمل عن ثقافته (الثقافة هنا بالمعنى الأنثروبولوجي للكلمة) إنه " مجاز الجسد وصورته المركزية بل هو بدل الفرد بكامله"(2). ومن ثم ليس من باب المصادفة أن يراهن عليه الإشهاري كثيرا في وصلة إكبيل لإغراء المشاهد والتأثير فيه. فهو يدرك جيدا أن مكانته تشغل موقعا هاما في المتخيل الجمعي؛ ذلك أنه يخبرنا عن مفاتن المرأة وعن هويتها وعن باطنها كذلك من خلاله تخترق المرأة الرجل. إنه الشيء الأول الذي يغرم به الرجل ويثير شهواته وغرائزه ورغباته.

الوجه بوصفه استراتيجية في الإقناع

تثير الأشكال التمثيلية التي يظهر فيها الوجه في المتن الذي ندرسه أسئلة عديدة حول الأدوار والوظائف التي يلعبها هذا العضو في توجيه المشاهد وإنتاج دلالات الوصلة الإشهارية والقيم الرمزية المرتبطة بها، على اعتبار أن الوجه يتميز بحظوة تمثيل الجسد ثم لأن أي افتتان بجمال الوجه يعتبر ضمنيا افتتانا بالجسد الذي يحضنه.

إن رهان الإشهاري على الوجه الحسن وكذا نضارته وتناسق أعضائه في بناء مضامين إرسالية الوصلة الإشهارية إلى جانب المكون اللفظي والصوتي والموسيقي نابع أساسا من أن الوجه شكل كان، ولا يزال، مصدرا للإعجاب والافتتان والدهشة المؤدية إلى العشق والحب؛ فالوجه هو مركز الغواية في الجسد.ثم إنه لإثارة المشاهد وشد انتباهه وإغرائه وإيقاظ شهواته، وجب وضع استراتيجية خاصة بمظهر الجسد سواء على مستوى اللباس أو التجميل أو حركة المشي أو طريقة التحدث، الخ. وهو ما نجد أثره واضحا في وصلة إكبيل سواء على مستوى اختيار المرأة التي تقدم المنتوج أو من خلال إظهار بعض أجزاء الجسد عارية أو من خلال تبئير بعض أعضاء الوجه كالعينين والفم باعتبارهما عضوين يثيران الشبق.

إن تحويل الوجه إلى شذرات بصرية في وصلة إكبيل، أكثر من نصف لقطات الوصلة تستعمل هذا الأسلوب، بقدرما تتيح للمركب le monteur حرية كبيرة للتركيب بين عينين واسعتين وشفتين رياوين وخدين أسيلين وأنف أشم، بغض النظر هل هذه الأعضاء تصور وجه امرأة أو امرأتين مختلفتين أو أكثر، بقدرما تخلق عند المشاهد آثار وحالات الرغبة والاشتهاء والتخيل الشهوي، ألم تشكل العين في المتخيل الجمعي دليل النفس في إدراك حقائق جسد المرأة كما يعرف ذلك الشيخ النفزاوي بقوله : " المعرفة مسكنها العين[...]. فإذا نظرت العين إلى من كان مليحا واستحسنته وتعجبت في شكله وحسن قوامه، فتسري محبته في القلب، فحينئذ يتمكن فيه العشق ويسكن فيه، فنتبعه وننصب له الأشراك"(3). والوظيفة نفسها يلعبها الفم من خلال إبهار الناظر بأشكال لا تخلو من إثارة الشبقية وإيقاظ الشهوة وتهييجها. فالفم لم يعد في هذه الوصلة يقتصر على وظيفة الكلام أو الضحك أو المضغ، بل صار أحد العناصر المسهمة في بناء الغواية. وذلك من خلال سلسلة الحركات التي يصوره عليها الإشهاري والتي تحيل إحالات صريحة على أدواره في إنجاز القبلات، الحركة الأولى في تقريب الجنسين و

من خلال دوره الهام ضمن ترسانة الغنج الأنثوي و من خلال استعادة خاصيته الحيوانية المتمثلة في المص، رد فعل المولود الجديد، مصاص الثدي(4).

ولتعضيد هذه الصورة، يوظف الإشهاري إرسالية لفظية تقوم بترسيخ الأكوان الثقافية والقيمية نفسها التي تروج لها الإرسالية الأيقونية. فالإشهاري يدرك جيدا أن المشاهد لا يمسك بجزئيات معاني الوصلة إلا من خلال عنصر اللغة لأنها النسق المؤول لكل الأنساق بل أكثر من ذلك لأنها المنتجة لصورة العالم في ذهن الفرد. وهكذا، توظف وصلة إكبيل صوتا خارجيا نسائيا يوهمنا في الوهلة الأولى بأن وظيفته هي شرح تركيبة المنتوج "بالحليب، بالبندق أو باللوز" وإبراز جودته " أفضل كاكاو، الحليب الجيد" ويذكرنا بالتجربة الطويلة لشركة إكبيل في صناعة الشوكولا" منذ ستين سنة". لكن حين نتأمل في ألفاظ التعليقات المتبقية " إكبيل يذيبكم بمتعته" أو" إكبيل تذوقوا واستمتعوا" نجد أن السمة المميزة لمعاني هذه الألفاظ هي الإحالة، من خلال إيقاع الصوت النسائي الرقيق والجذاب، على التذوق والذوبان ثم المتعة وهي ألفاظ تشترك جميعها في الإحالة أيضا على الشهوة واللذة ودلالاتهما. غير أن حرارة الاشتهاء واللذة هنا لا تستمدان وجودهما من الإرسالية اللفظية وحدها ولكن كما سبقت الإشارة إلى ذلك سابقا من خلال الحالات والأشكال والأصوات التي تظهر بها صورة الجسد في الوصلة، أي مجموع المثيرات البصرية والإيحاءات الرمزية التي تنسج خيوطها الصورة التي يتلقاها المشاهد والتي تحيل إحالة صريحة إلى فعل جنسي. ذلك أن هذه الوضعات والأوضاع تمنح الإشهاري إمكانات لا محدودة للتحايل على الرقابة الاجتماعية والثقافية التي ترسم للجنس أوقاته وفضاءاته وطقوسه وتقوم كذلك بتحديد دور الجنسين في العملية الجنسية. فتقاسيم الوجه وحركات أعضائه ومختلف الأشكال التي يتخذها علاوة على وقع اللقطات الكبيرة واللقطات الكبيرة جدا وزوايا النظر وطبيعة الإضاءة وإيقاع المونطاج، تسهم جميعها في خلق عوالم شبيهة بعوالم الجنس ولذاته. ولنا في اللقطة السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين والرابعة والعشرين والخامسة والعشرين على سبيل المثال لا الحصر ما يؤكد هذه التأويلات. وتتخذ هذه اللقطات من حركة المص بؤرة رئيسة للتعبير عن ثيمة الجنس. فالشوكولا بوصفها مادة غذائية حلوة الطعم يستدعي اختبار طعمها و تحويلها من حالة الجمود إلى حالة الذوبان، أي تحتاج إلى الحرارة التي يولدها فعل المص. ومن ثم يكون المص هو الصيغة التمثيلية التي تركز عليها الوصلة للإحالة على اللذة. ويعضد هذه الصورة الصوت الخارجي النسائي الذي يدعو المشاهد ضمنيا إلى التخلي عن جسد المرأة وتعويضه بمتعة إكبيل ولذته "إكبيل يذيبكم بمتعته". فمص الشوكولا هو النموذج الذي تطرحه الوصلة

الإشهارية بديلا عن اللذة الجنسية، مستغلة في ذلك المتخيل الجمعي للمشاهد الذي ترتبط صورة اللذة عنده بدلالات الذوبان. غير أن تداعيات إرسالية وصلة إكبيل لاتقف عند حدود دعوة المشاهد إلى التخلي عن العلاقات الجنسية التي تقوم على اشتهاء الآخر والاستمتاع المتبادل بل تتعداها إلى دعوة المشاهد إلى الارتواء الذاتي والانكماش والانعزال. فاللذة كما تصورها وصلة إكبيل لذة باردة و أفقية وأحادية الجانب وخالية من أية حرارة لأنها لا تولد نتيجة احتكاكها بالآخر بل على العكس من ذلك بإقصائه والتخلي عنه وتجنبه. تلك هي الصورة التي تحاول وصلة إكبيل ترويجها عن الجنس وذلك من خلال تشجيع المشاهد و حثه على استهلاك لذة الشوكولا و تفضيلها على لذة المرأة.

استنادا إلى ما سبق، يستخلص أن استراتيجية الإشهاري في وصلة إكبيل، والإشهار عموما، لا تقتصر على إقناع المشاهد باستهلاك المنتوج بل تتعداها إلى التأثير في سلوكاته و نمط عيشه و نشاطه الفكري و معاملاته و طريقته فى الترفيه و عاداته الإستهلاكية. كما تقوم بتغيير و تعديل إدراكه و تأويلاته و أحكامه على الأشياء التي تحيط به فتمنحها معنى و وجودا جديدين.

***فوتوغرافي و باحث**

1- نركز في دراستنا على الإشهار التلفزي لأنه الأكثر انتشارا بالمغرب. فهو يحتل مرتبة الصدارة مقارنة مع باقي أنواع الإشهار الأخرى. نطلق هذا الحكم بناء على الدراسة المنشورة بمجلة *L'intelligent* العدد 2270 من 11 الى 17يوليوز 2004.

2- فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام؛ **منشورات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- بيروت، 1999،ص.103.**

ملحوظة: هذه القراءة هي في الأصل نص المساهمة التي ألقيت في إطار اليوم الدراسي "سؤال التواصل في الجامعة المغربية" الذي نظمته جمعية الباحثين الشباب في اللغة والآداب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - مكناس يوم 7يناير 2005.

3- الشيخ النفزاوي، الروض العاطر في نزهة الخاطر؛ **حققه ووضع هوامشه وعلق عليه جمال جمعة، منشورات رياض الريس للكتب والنشر، لندن – قبرص، الطبعة الثانية، 1993، ص . 138 . أنظر بهذا الصدد اللقطات التالية من الوصلة -12-17-18 -20 1-2-6-7-10-11**

-4

René – Lucien ROUSSEAU, *Le langage des couleurs énergie, symbolisme, vibrations et cycles des structures colorées*, 2 ème édition, Ed. Dangles, 1980, pp. 187-188

يمكن العودة بخصوص هذا الموضوع الى اللقطات التالية من الوصلة 16-17-18-19-24-25